المشرق

منارة الساعة العربية في بيروت

للاب لويس شيخو اليسوعي

جمعت بيروت في عهدنا من المفاخر ما لو قُسم على كثير من البلاد لأولاها المجد الباهر واكسبها الثناء العاطر. لها الحسن الفتّان. والمنظر الآخذ بالجنان. هواؤها مستطاب. وماؤها اعذب من الشراب. هي موسم التجّار. ومُستراد جواري البحر من كل الاقطار. مدارسها بالعلوم زاخرة. ومعابدها بالمناسك زاهرة. لها في التاريخ المقام الاثير. والذكر الخطير. كما يصبو اليوم الى محاسنها كل نقّاد بصير

ومع كلّ هذه الاوصاف الفريدة. والخواصّ العديدة. كنت ترى السيّاح الذين يتفقّدون اصقاعنا السوريّة. يتمنّون لو وجدوا في بيروت شيئاً من البنايات العربيّة. يجديها رونقاً. ويزيد في شذاها عَبقاً. فلمّا عُهد بزمام التدبير. الى عطوفتلو رشيد بك افندي ملاذ ولايتنا وعلَمها المنير. اسرع الى تحقيق هذه الاماني. باقامة اثر ليس لهُ في البلدة ثاني. يُنظم مع التحف في سِلك المباني. فطلب الرخصة من ذوي الامر في الاستانة العليّة. بان تبني الدائرة البلدية من مخصصاتها منارة كبيرة على الهيئة الشرقيّة. لتُجعل فيها ساعةٌ كبيرة دقّاقة لتعريف الاوقات العربيّة. فما لبثت الارادة السنيّة ان وردت مؤذنة بمباشرة هذا العمل الحمود. الذي خرج اليوم الى حيّز الوجود

ولمّا كان هذا الاثر الجليل. ممّا يستوجب لاصحابهِ الشكر الجليل. ويعود على بلدتنا بالثناء الجميل. احببنا ان نصف لقرّاء المشرق. ما افادناهُ القوم الثقة عن هذا العمل الموثّق. نخصُّ منهم بالذكر جناب مهندس البلديّة رفقتلو يوسف افندي افتيموس وفتوتلو مصطفى افندي قبّاني فنقول:

ما فتئ ملجأ الولاية حين بلغهُ رضى الباب العالي ببناء البرج المنويّ حتى بادر الى

تشكيل لجنة تقوم بشؤون هذا المشروع الخطير وتنهض باعبائه الى غاية كمالهِ . فتألفت اللجنة المذكورة برئاسة قومندان الموقع سابقًا عصمت باشا من اعضاء لجنة الانشاءات العسكريَّة اعني صاحبي العزَّة عمر بك بكباشي طابور البشنجي التاسع وخيري بك طبيب اول في المستشفى العسكري وصاحب الرفعة قول اغاسي حسين بك وفتوتاو مصطفى افندي قبّاني وأضيف اليهم سر مهندس الناظمة عزتاو بشاره افندي وعضوان من مجلس البلديَّة وهما مكرمتاو الشيخ طه افندي النصولي (الذي خلفهُ بعد وفاته الى محكمة الاستئناف رفعتاو محمَّد امين افندي البربير) ورفعتاو جرجس افندي الشويري ورفعتاو مهندس البلدية . ولا يسعنا هنا السكوت عن همَّة صاحب السعادة عبد القادر افندي قباني رئيس المجلس البلدي فانهُ قد سعى مع حضرة سعادتاو عصمت باشا قومندان موقع بيروت سابقًا بتنشيط هذا العمل الاثير فخدما بهِ الوطن خدمةً صادقة نخلِّد ذكرها مع شكرنا في هذه الصفحات

واوَّل ما قرَّرتهُ اللجنة المذكورة ان تقام منارة الساعة في الساحة الممتدَّة بجوار ثكنة العساكر الشاهانيَّة والمستشفى العسكريّ وهو بلا مراء انسب موضع للغاية المطلوبة لارتفاع المكان وتوسُّطهِ بين انحاء المدينة

ثمَّ وكلوا برسم البناء الى مهندس البلديَّة البارع رفعتاو يوسف افندي افتيموس احد افاضل طائفة الروم الكاثوليكيين في دير القمر . وقد اشترطوا عليهِ بناء البرج على النَّمط العربيّ . والحقُّ يقال انَّ القوس أُعطيت باريها فان المهندس الموما اليهِ قد اتقن مزاولة هذا الفنّ ولهُ في ذلك اعمال تُشكر منها بناية القسم التركيّ والعجميّ في معرض شيكاغو وبناء القسم المصري في معرض انفر في بلجكة فأحرز لهُ الذكر الحسن عند اهل الخبرة

وكانت حفلة وضع الحجر الاول من منارة الساعة العموميَّة في تاريخ ٩ كانون الثاني ١٨٩٧ الموافق لليوم الخامس من شهر شعبان من السنة ١٣١٥ الهجريَّة . وفيهِ كان عيد المولد السلطانيّ المنيف . فأقيم هذا الاحتفال بحضور عطوفة ملاذ الولاية واركانها والامراء العسكريين واكابر المأمورين ووجوه البلدة فصدحت الموسيقى العسكريَّة بابهج الحانها ثمَّ تُليت الخطب البليغة في التركيَّة والعربيَّة ودُعي للذات الشاهانيَّة بالعزّ والبقاء فأمَّن الجميع على هذه الادعية الحميدة

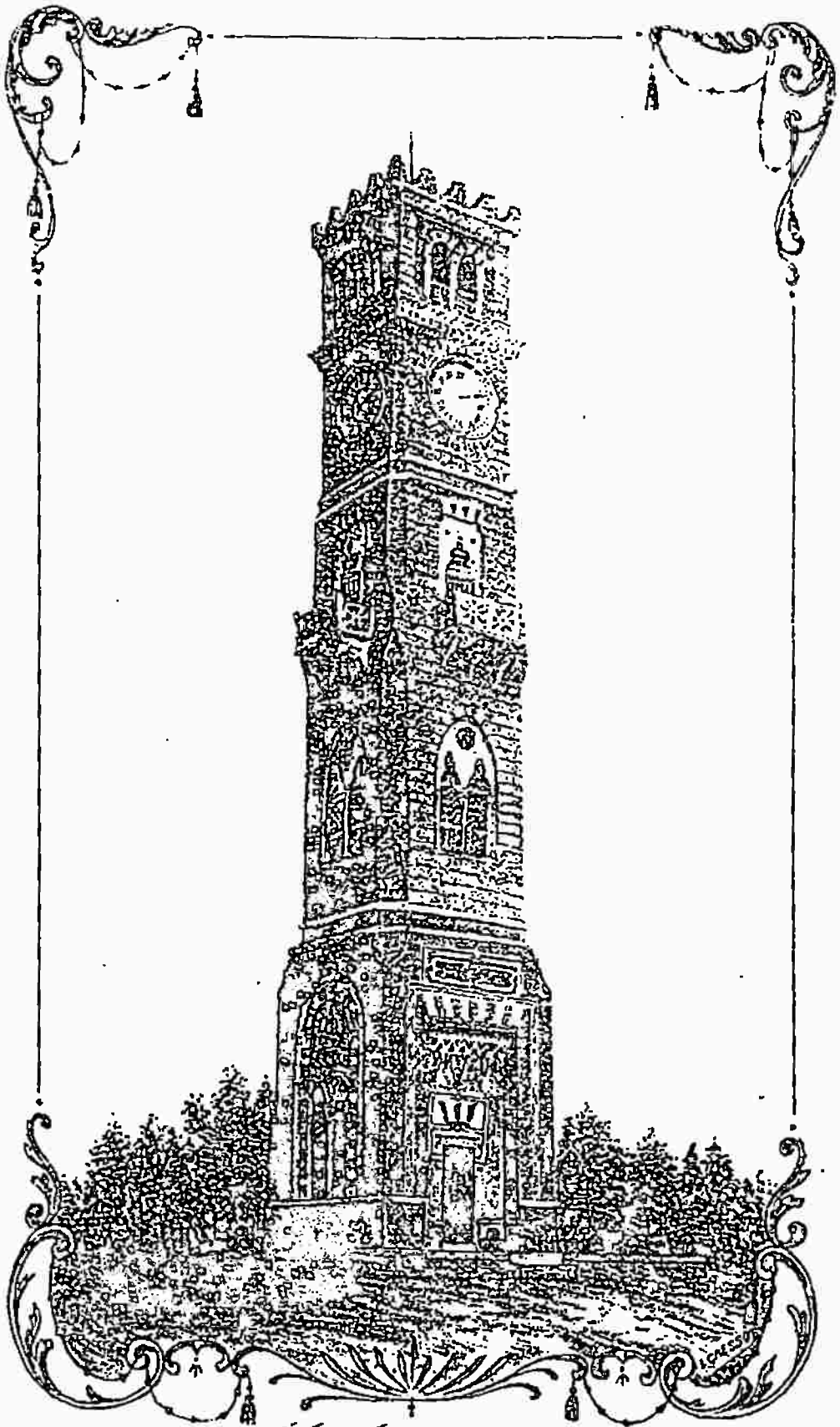

منارة الساعة الحربية في ساحة الثكنة العسكرية ببيروت

وبعد نحر خروف كما لوف العادة قدّم لعطوفة الوالي معول فضرب به ضربتين اساس البناء ووضع الحجر الاوّل وأركزهُ بطرقة صغيرة من الفضّة . وفي نهاية الحفلة أخذ رسم المحتفلين بالتصوير الشمسيّ

ثم باشرت اللجنة والبنّاؤون في العمل وشمّروا عن ساعد الجدّ ولم يزالوا منذ ذاك الحين في مواصلة الشغل الى ان انتهوا منهُ في مدّة ١٥ شهرًا

والمنارة مربعة الشكل يبلغ علوها ٢٥ مترًا وهي مؤلفة من خمس طبقات يستقبل وجهها مشرق الشمس . وفي حضيض الطبقة السفلى دكّة مربعة مفروشة بالرخام طولها سبعة امتار ونصف في مثل ذلك عرضًا يُصعد اليها بدرجتين من جهة المدخل ويحوط بها سلسلة من حديد وفي زواياها الاربع ثلاث كُرات من الحديد المصمت

والطبقة الاولى السافلة مبنيّة في وسط الدكّة المذكورة تكسير قاعدتها اربعة امتار في اربعة لها وجه بديع المنظر استفرغ جناب المهندس وسعهُ في تنسيقهِ وهو من الحجر الجزّع المعروف في البلد بأبي ظفر لما فيهِ من آثار الحيوان والاصداف القديمة والنبات جلبهُ البنّاؤون من دير القامة (١ . وفيهِ المدخل وهو باب ذو مصراعين خشبهُ من شجرة أزدرخت (زنزلخت) عمرها فوق المئة سنة تأنق في شغلها الحاج عُمر قُريعة من الطائفة الاسلاميّة ولمّا كان من المبلّسين البارعين بفن النجارة فقد تولّى كلّ شغل الخشب في المنارة المذكورة

وفوق الباب إطار من الرخام الابيض المرصّع (المطعّم) بالحجر الاسود الحوراني والحجر السمّاقي والحجر الاحمر المعروف بابي زنّار المجلوب من دير القمر . وفي وسط الاطار قنطرة صغيرة على الطراز العربيّ تتركّب من الحجر المعروف بالشحم واللحم ومن الاسود الاصمّ . وفوق اطار الباب عند اعلاهُ قطعةٌ جميلة من الشغل العربيّ الهندسيّ المعروف بالمُقرنص وهو غاية في الحسن تزيّنهُ ضروب من النقوش الهندسيّة . وتتمّم هذه الرسوم قطعة كبرى من حجر الشحم واللحم والاسود الاصمّ

ويحدق بكلّ المدخل طنفٌ من الرخام مزيّن باشكال هندسيّة ناتئة في البناية على طريقة الخطوط العربيّة

---

١) ومن هذا الحجر الاصمّ اتّخذ مهندس كنيستنا الاربعة الدوائر الكبرى التي وراء الهيكل

وفي اعلى كل ذلك صفيحة كبيرة من الرخام دُهنت باللون الاخضر وكُتب عليها باحرف ذهبيّة تاريخ انشاء البناية بالتركيّة وهي من خطّ الكاتب الشهير علّام افندي علّام. وهذا نصّ الكتابة:

«زينت افزاى مقام معلاى خلافت اسلاميه واريكه بيراى سلطنت سنيه عثمانيه السلطان بن السلطان السلطان الغازى عبد الحميد خان ثانى حضرتلرينك طرف اشرفلرندن اشبو ساعت قله سى موسسات نافعه ماوكانه لرينه علاوةً بيكُ اوچيوز اون التى سنه هجريه سنده بنا وانشا ايدلشدر هجري سنة ١٣١٦ رومى سنة ١٣١٤»

وترجمتها في العربية:

«أنشئ برج الساعة هذا من جانب مَن ازدانت به اريكة السلطنة السنيّة العثمانيّة ومقام الخلافة الاسلامية حضرة السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني علاوة على مؤسّساته المالوكانيّة النافعة وذلك سنة ١٣١٦ هجريّة»

امّا الثلاث الجهات الباقية من هذه الطبقة السفلى فيزّينها شمّاسات زجاجيّة (١ مختلفة الالوان على اشكال هندسيّة عربية وهي مزدوجة في وسطها عمود (شمعة) من الحجر الفرنيّ المكلّس الموجود في جوار البلد. وحول الشمّاسات صفٌ من الحجر الابيض الملكيّ (مجلوب من جونية) والاسود الشاميّ الناري (basalte) يساوهُ اطار اوسع من الرخام العادي يبرز منهُ طنفٌ مفتولٌ فتل الأسورة

وكلّ اشغال الرخام هذه قد قام بنقشها المرحوم ديونيسيوس صوّان من اهالي المصيطبة من طائفة الروم الاوثوذكس. الّا المُقرنص فقد هندمهُ احسن هندام المعلّم يوسف العنيد الشاميّ من طائفة الروم الكاثوليك

امّا الطبقات العليا فيُرقى اليها من داخل المنارة بسلّم من الحديد ذي ١٢٥ درجة اشتغلهُ احد حذّاق الحدّادين من الثغر عبد الستّار سوبرة من الطائفة الاسلاميّة واحكم شغلهُ. فالطبقة الثانية يزينها اربع شمّاسات كبرى (قندلونات) من الرخام الابيض المطعّم بخطوط سوداء واسفل دفّاتها (درفاتها) من الخشب المخروط المعروف بالمشربيّات. ويعلو المشربيّات زجاج ملوّن كما في الطبقة السفلى

وفي الطبقة الثالثة اربعة ابواب تفضي الى كِنّان (بلكونات) كلُّها من الرخام

---

١) كذا يدعو ابن جبير ما يعرف عند العامّة بالقندلونات

الابيض المطعَّم بالاسود والابواب من خشب المشربيات المارّ ذكرهُ . وفي هذه الطبقة عُلّق الجرس الذي يبلغ قطرهُ ٨٥ سنتيمترًا وثقلهُ ٣٠٠ كيلو

اما بيت الساعة ففي الطبقة الرابعة وفيها اربع مبوّقات على اربع جهاتها معمولة من الرخام الابيض المطعَّم بالحجر الاسود والاحمر . وقد اجتلبت الساعة من معمل الساعاتي الشهير بولس غرنيه (P. Garnier) في باريز بواسطة سفارة الدولة العليَّة فيها وهي ممتازة برشاقة ادراتها وخفَّتها تنزل منها الاثقال الى الطبقات السفلى واكبر هذه الاثقال لا ينقص عن ٣٠ كيلو . وعلى الجهات الاربع اربع ميناوات قطرها متر وستون سنتيمترًا رُسمت عليها في جهتي الشرق والغرب الارقام الرومانية وفي جهتي الجنوب والشمال الارقام العربية الّا انَّ الابر جميعها تدلُّ على الساعة العربية . وكذلك يكون دقّ الساعة على التوقيت العربي . والذي وُكل اليهِ تركيب الساعة هو الساعاتي الماهر قيصر شكري الماروني فقام بهذه المهمة احسن قيام . وتنتهي هذه الطبقة الرابعة باطناف ناتئة (كرنيش) من الحجر الملكي على الطراز المعروف بالمقرنص

والطبقة الاخيرة مؤلفة من اربعة شبابيك بُنيت بالحجر الابيض الملكي والاسود الشاميّ الناريّ تنتهي ايضًا بأطناف من المقرنص الابيض من الحجر الملكي

وفوق المنارة سطح مساحتهُ تسعة امتار مربَّعة تكتنفهُ شُرف على شبه التاج من الحجر الرمليّ البيروتي المطعَّم بالحجر الاسود الناريّ . ويرى الناظر من اعلاهُ منظرًا شائقًا يأخذ بالابصار فانّ العين تشرف على جميع انحاء المدينة لا يفوتها منها شيء ثمّ تمتدُّ الى ضواحي البلدة وسواحل البحر ومشارف لبنان فتُبهَر برَوْعة هذه المناظر الفائقة ومحاسنها الرائقة . اما جملة ما أُنفق على هذا البناء الجميل مع ثمن الساعة ومستلزماتها فقد بلغ ١٢٦ الف غرش ذهبًا جازى الله خيرًا كلَّ من قاموا بهذا العمل ونفعنا زمنًا طويلًا بهمَّتهم وسموّ مداركهم

وقد عُيّدت حفلة تدشين المنارة في هذا النهار (٣١ آب — ٢٤ ربيع الآخر) بنسبة عيد الجلوس اعادهُ الله على متبوعنا الاعظم اعوامًا طوالًا فانَّهُ قدير وبالاجابة جدير